

الأنساق الثقافية في نصوص الذاكرة المجتمعية .. " الحلة عاصمة السخرية

العراقية المرة " لنوفل الجنابي مثالا

م.م عامر موسى كاظم

جامعة المثنى / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

amer.mous@mu.edu.iq

Notation of the community memory in contemporary blogs

A study in cultural formats

"Al Hilla is the capital of bitter Iraqi irony" by Nawfal Al-Janabi as an example

Amer mousa kadhim

AL-Muthanna University\ College of Basic Education

 10.58564/MABDAA.62.2.2023.562

المخلص :

يدرس هذا البحث مدونات الذاكرة المجتمعية بوصفها من الكتابات التي ظهرت في عصر ما بعد الحداثة ، والمهتمة بالكتابة عن المهمشين في المجتمع ، أو الذين لا تاريخ لهم ، وترصد وعيهم وثقافتهم الخاصة ، ظهرت هذه الكتابات على هيئة سرديات تدون الذاكرة الشفاهية ، وتسير بالتوازي مع الأنواع السردية المعروفة. تتطرق الدراسة في البحث عن الأنساق الثقافية المضمر في وعي المجتمع بعدّها مضمر وخافية في الوعي الجمعي ، في مدونة الكاتب العراقي نوفل الجنابي (الحلة عاصمة السخرية المرة وذكرى الساخرين الصادر عن دار المدى ببغداد ٢٠١٤) من خلال تطبيق منهج النقد الثقافي ، محاولين استجلاء الأنساق الثقافية المضمر في الثقافة الكلية للمجتمع بمدينة الحلة العراقية في خطاب المدونة .الكلمات المفتاحية : مدونات معاصرة ، ذاكرة شفاهية ، أنساق ثقافية ، أنساق مجتمعية ، نوفل الجنابي ، مدينة الحلة .

Abstract:

This research studies societal memory blogs as one of the writings that appeared in the post-modern era and is interested in writing about those marginalized in society, or those who have no history, monitoring their awareness and their own culture. These writings appeared in the form of narratives memory that runs parallel with the known narrative fields. The study begins by searching for the cultural patterns implicit in society's awareness, as they are implicit and hidden in the collective consciousness. In the Iraqi writer blog (Hilla is the capital of irony, which published by Almada in Baghdad in 2014.)By applying the cultural criticism approach, trying to clarify the cultural patterns embedded in the overall culture of society in the Iraqi city Al-hilla in the. Keywords: Contemporary blogs, Oral memory, Cultural formats, Community formats, Nawfal Janabi, Al Hilla City.

المقدمة :

تحظى المجتمعات الحيّة ، ذات الأعراق والمعتقدات المختلفة بذاكرة جمعيّة شفاهية كبيرة، تمثل بشكل أو بآخر هويّة المجتمع الذي تنتمي إليه، وتؤثر في تحديد السلوكيات وانماطها وانتاج الخطابات الخاصة بها. وتأخذ أشكالاً من التمثل ؛ فنجدها تقترب من السخرية والتندر والفكاهة تارة، وتارة أخرى تأخذ أبعاداً إنسانية مختلفة.في ظل المتغيرات الحديثة الساعية إلى توحيد هوية العالم ، وطمس الهويات الفرعية والخطابات الخاصة

بالجمعات الصغيرة ، وتغييبها أمام هيمنة الآخر عبر أدواته الثقافية ، من قبيل حداثة التكنولوجيا ، وحداثة الصورة ، والعلامات التجارية الخاصة بالموضة والمأكولات ، وغيرها من المنتجات التي أسهمت وبشكل واضح في إحداث خلخلة ما ، أسهمت بغياب الآخر ثقافيا ، وتحويله إلى مستهلك كسول متصل بمجتمعه من حيث الجسد فقط ، وغريب عنه ثقافيا ، برزت بعض الأعمال التي تحاول تدوين الذاكرة الشفاهية الجمعية والمنقولة عن هذه المجتمعات في نصوص غير مجنسة ، تنتمي إلى الكلام المحض ، تقترب من الأدب من جانبه السردي ، وتمثل الواقع كما هو ، عبر تسجيل الأحداث والأسماء والمواقف الحقيقية ، تهدف إلى مسك الحكايات بما تحمله من مدلولات وأبعاد اجتماعية مثلت ثقافات تلك المجتمعات ، وتخلق توازنا لها في قلب المتغيرات الكبرى ، التي طمست الهويات الفرعية ، وقيمة ذلك في أن " الكلام هو المؤسسة الاجتماعية الأولى بالنسبة للإنسان" (دريدا ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٢٣) ، وتحاول تلك النصوص خلق صلة للإنسان مع إرثه المجتمعي وإعادته إليه ، وتحريه بشكل أو بآخر من هيمنة التابع الذي أنتج ثقافته وأنشأ سلوكيات جديدة وهجينة على أخلاقيات المجتمعات الصغيرة ، وهو ما ولد صراعا " بين قطبين ، هما قطب المركز في صورة الغرب ، وقطب الأطراف في صورة الشعوب والأمم التابعة ، بفعل هيمنة الكولونيالية الجديدة ، أو التبعية الثقافية" (فيدوح ، ٢٠١٨ ، ص ٦٩) . حسب ما تقدم ، تأتي نصوص تدوين الذاكرة حاملة لبذور المقاومة التي تقف بالصد من الثقافات الوافدة ، ذلك لأنها هدف يتعرض للمحو القسدي أو غير قسدي ، وهذا ما تحدده الأهداف بطبيعة الحال . والعراق بوصفه بلدا قد شهد متغيرات عنيفة منها ما هو داخلي بسبب ممارسات السلطات والمعارضة المجتمعية والسياسية لها ، وأخرى بفعل خارجي أسهم بإزاحة السلطة التي حكمت المجتمع ، لتسهم هذه المتغيرات بدفع المجتمع العراقي إلى الفضاء المفتوح ، ليجد نفسه أمام تحولات لم يشهدها من قبل ، ليلتحق بهذا الركب ، معرضا بذلك هويته إلى التصدع والمحو ، برزت بعض الكتابات التي تهدف إلى تدوين الذاكرة الجمعية بصورها المتعددة ، أخذت شكل السرد ، واقتربت من الهامش الاجتماعي ، وغاصت في تفصيلاته المعقدة ، فضلا عن محاولاتها لرسم صورة مغايرة عن الصور السائدة للمراكز المجتمعية الواضحة ، ومثلت تلك الكتابات بما يشبه صدى لصوت القاع المجتمعي الذي كان يصف صورة المراكز بالخفاء ، ومن دون إشهار لذلك الوصف ، وتأتي هذه الكتابات لتلتقط ذلك الصوت وتدونه ، عاكسة لثقافة المهشم الاجتماعي ، وإظهارها ؛ لتكون بمصاف المتون والمراكز ، ومن هذه الكتابات ، مؤلف الكاتب العراقي نوفل الجنابي " الحلة عاصمة السخرية المرة .. وذكرى الساخرين " الصادر عن دار المدى ببغداد ٢٠١٤ . ويعد هذا الكتاب من الكتب التي أثارت إشكالات عديدة داخل منظومة المجتمع العراقي بشكل عام والمجتمع في مدينة الحلة بشكل خاص ، بسبب ما نقله من قضايا وتفصيلات خاصة جدا كانت حبيسة الذاكرة الضيقة للمجتمع ، لتتحول من ذاكرة شفاهية إلى ذاكرة مكتوبة ، تمثل تاريخا لسلوكيات معينة لشرائح مجتمعية غيبتها التدوين ، فضلا عن تدوين حكايات مرتبطة بموقف المجتمع العراقي من السلطة ، والحلي بصورة خاصة ، وعلاقة المجتمع مع أفرادها ، وبعض السلوكيات الفردية التي تبدو وكأنها مستقرة رغم نشازها ، وغيرها من المفاهيم المجتمعية التي لم تجد طريقها إلى التدوين والبحث ، ليشكل هذا الكتاب نقطة انطلاق للبحث في المسكوت عنه في أنساق الثقافة المجتمعية العراقية .

تجدر الإشارة إلى أن هكذا أنواع من الدراسات تتطلب البحث الدقيق في مختلف المصادر ، بوصفها من الدراسات الشحيحة في المكتبات العربية ، سوى بعض الجهود التي قدمها عدد قليل من الباحثين العرب من أمثال نادر كاظم ، ووجيه كوثراني ، فيما أن البحث في هذا الموضوع يرد له التأمل الحقيقي من قبل الباحثين .شمل البحث إضافة إلى المقدمة إجراء مقارنة في مفهوم التداخل بين الذاكرة والتاريخ ، ومن ثم مرور الذاكرة من الشفاهي إلى التدوين النصي ، وبعدها دراسة أنساق ثقافة المجتمع بوصفها المحرك الرئيس لوعيه في ضوء نظرية النقد الثقافي متخذين من طروحات عبد الله الغدامي سبيلا لذلك ، واستجلاء أنساق الذكورة المجتمعية ، والثروة المجتمعية ، والموقف من السلطة ، وختم البحث بخاتمة تشمل النتائج التي توصل إليها البحث ، وقائمة المصادر والمراجع .

الذاكرة والتاريخ .. المفهوم والتداخل :

تمثل الذاكرة بشقيها الفردي والجمعي مرجعا تاريخيا للمجتمعات وحركتها وتفاعلها ، بصرف النظر عن طبيعتها وهويتها ومعتقداتها وعمقها ، عرفها علماء النفس بأنها " حفظ الذات لنتائج تفاعلها مع العالم الخارجي مما يجعل في إمكانها ترديد واستخدام هذه النتائج في نشاط لاحق ، وتصنيفها وربطها في أنساق ، وهي الكل الإجمالي للنماذج الذهنية للواقع ، التي تشيدها ذات معينة" (روزنتال وآخرون ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٢٠) ، وبهذا المعنى تصبح الذاكرة الوعاء الذي ينهل منه الأفراد المعرفة والسلوك ، فضلا عن إسهامها في رسم صورة شبه متكاملة عن الماضي ، وتؤثر في صياغة صورة المجتمع المعاصرة وسياقته ، رغم اختلافه - المجتمع - وبعده الزمني عن زمن الواقعة التاريخية ، لتأتي الذاكرة وتقدم تفسيرات تنظيرية للماضي ، فالسياق الاجتماعي للتذكر يحدد كيفية صياغة الأفراد والجماعات للماضي" (جبر ، ٢٠١٨ ، ص ٥٥) . يستدعي المفهوم السابق سؤالا عن نوع الذاكرة المستعادة ، وأهميتها من الناحية الفلسفية في إنتاج المعرفة ، الأمر الذي جعل الفلاسفة

يقدمون تفسيرات عديدة عن الذاكرة والتذكر ، إذ " قدموا تفسيرات مختلفة لطبيعة الذاكرة ، فقد شغل التجريبيون أنفسهم منذ القرن السابع عشر وما بعده بدراسة الذاكرة كما نجربها نحن في حياتنا الفعلية والسبب في ذلك هو أن الفلسفة التجريبية جعلت غايتها توضيح أن المعرفة مشتقة من التجربة ، ووجدت نفسها مجبرة على اختبار التذكر " (ورونوك ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٩). واجه هذا المفهوم إشكالا كبيرا ، وهو كيفية التمييز بين ما هو حقيقي تقوله الذاكرة وبين ما هو خيالي ، وهو ما تنبه إليه بول ريكور داعيا إلى فصل الخيالي عن الحقيقي : "علينا ضد تيار هذا التقليد الذي يحط من شأن الذاكرة ويعاملها على الهامش ، أن نقوم بعملية فصل بين الخيال وبين الذاكرة إلى أبعد ما نستطيع أن نذهب في هذه العملية " (ريكور ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٤) وهو ما نسعى إليه في هذا البحث ، وهو تقديم الذاكرة الحقيقية عن المجتمع عبر الكتابة والتدوين الشخصي للظواهر والحالات والمواقف الحقيقية التي بقت ضمن إطار التداول الشفاهي ضمن المجتمعات الصغيرة ، ونذهب في ذلك بحسب ما ميزه ريكور بفكرة " وجود اختلاف نستطيع أن نقول أنه جوهرى بين استهوائين ، قصديتين : إحداهما ، وهي أن قصدية الخيال تتجه نحو الوهمي ، والقصصي ، غير الحقيقي وغير الواقعي ، والممكن واليوتوبي ، والأخرى وهي قصدية الذاكرة ، تتجه نحو الحقيقة ، والواقع المسبق ، إذ أن السبقية تشكل السمة الزمنية بامتياز للشيء المُتذكر للمتذكر " (ريكور ، ٣٤). تأسيسا على ما سبق ، فإن الذاكرة بهذا المعنى تصبح مصدرا لتاريخ المجتمعات ، وبحسب ريكور فإن " الذاكرة تقودنا مباشرة إلى التاريخ ، لأنها الحاملة الأولى للتاريخ ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ ، إذ أن المصدر الأول لمعلومات المؤرخ الشهادة ، شهادة أولئك الذين حضروا الحدث " (ريكور ، ص ١٦) إلا أن هذا المفهوم يصطدم مع عمل المؤرخين الخاضعة لقوانين صارمة ، فالتذكر العام من وجهة نظر المؤرخ " لا يعترف بوجود القوانين الصحيحة التي تميز بين الحق والباطل في الإخبار ، لأن الجماعات تبحث عن استقرار لها ولا تحاول المجازفة ، فإنها تعتمد إلى مصادرة أي وجود لهذه القوانين ، إلا إذا كانت هذه القوانين نافعة وتخدم الجماعة " (كاظم ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠) وهو ما يتيح للمؤرخ إخضاع المرويات المحكية إلى " المحاكمة أو التقييم المعياري من قبيل الصدق ، والكذب ، والنسيان ، والهوى ، والانحياز إلى رأي أو مذهب ، أو التشبع له " (كوثراني ، ٢٠٢٠ ، ص ١٧). أولت الدراسات الثقافية الحديثة اهتمامها بنصوص الذاكرة الجمعية والفردية على حد سواء ، بوصفها أحداثا تمثل سياقها الثقافي وتحيل على زمنها ، وفي ضوء ذلك " ما عادت الوثيقة المكتوبة وإن خضعت للنقد أو التفسير أو التأويل أداة وحيدة لاستخراج المعلومات والبناء عليها إذ اتسعت المصادر مع أعمال التاريخ الجديد لتشمل الصورة والرسم وأي تعبير فني ، بل أي تعبير إنساني آخر ، وفي طبيعته التعبير الشفوي " (كوثراني وآخرون ، ٢٠١٥ ، ص ٢٠) وهو ما يفتح أفق الدراسات أمام النصوص التي جسدت الذاكرة الجمعية للمجتمع ، والجماعات الصغيرة ، والأفراد التي لا ينقلها التاريخ الرسمي المكتوب من قبيل " الذاكرة المقموعة أو المكبوتة على أنواعها الفردية والجماعية ، ذاكرة مناضلين ومقاومين طواهم النسيان ، ومعذبين ومستضعفين ، مهمشين في سجون أو معتقلات... إلخ " (كوثراني وآخرون ، ص ٢١) وهذا يستدعي التساؤل عن : من يكتب تاريخ هؤلاء ؟ وإذا كتب عنهم ماذا سوف تكشف تلك الكتابات ؟ وماهي أسئلتها ؟ .

من الذاكرة إلى النص :

يثير مفهوم تدوين الذاكرة وتحولها إلى نص مكتوب تساؤلا عن هوية النص وانتسابه ، فضلا عن طبيعة الراوي ، ومدى صدقه في نقل الحدث ، وما هي تدخلات الكاتب في الكتابة المنقولة شفاهيا ، وهل هناك تدخلا مؤسساتيا أو سلوطيا في كتابة النص ، وهذا ما يُثار على النصوص التي تأتي من جهة السلطات الحاكمة ، التي تستعمل ذاكرة معينة من دون غيرها وهو ما يعني " انتخاب ذاكرة جماعة بعينها ودفعها إلى الواجهة لتكون الذاكرة الوطنية والتاريخ الرسمي للوطن ، والحصيلة من هذا أن ذاكرات بقية الجماعات يتم اقصاؤها وتهميشها وحتى تصفيتيها ومحوها لصالح التاريخ المفروض ولأن هؤلاء الأخيرين لا يتنازلون ، في الغالب ، عن ذاكراتهم الخاصة بهذه السهولة ، فإن سيرورة الإخضاع وفرض الذاكرة بقوة عادة ما ينتهي إلى الصراع المحتدم والتنازع الذي يستمد قوته من شعور الجماعات المهمشة بأن تاريخها مهمش وماضيها يتعرض للإبادة " (كاظم ، ص ١٣) وهذا ما تنبه إليه ميشيل فوكو في مشروعه الأركيولوجي الضخم ، داعيا إلى الوقوف أمام مدونات السلطة والحفر فيها من خلال أن " الأركيولوجيا همها أساسا الكشف عن صيغ علاقات القوى ومطاردة الأقنعة الكثيرة التي تخفي السلطة وراءها وجهها الحقيقي خلف الوجه المعرفي " (عبد النور ، ٢٠٠٩ ، ص ٣١٦). ينتصر فوكو في منهجه إلى الخطابات الفرعية المهمشة ، التي تظهر وتختفي وتسهم بشكل وبآخر في إنتاج المدونات الرسمية ، وتؤثر في السلوك الجمعي ، ومن دون الإعلان عنها من جانب السلطة ، وسعى إلى " التركيز على النقاط الجزئيات والظواهر الجانبية المسكوت عنها ، بالإضافة إلى الالتفات إلى المعطيات الصغرى التي تتواجد على الأطراف وهذا الإجراء المنهجي يؤكد على الأحداث النوعية ، بدل الهويات المتعالية ، ودراسة الحدث في حديثه المنفردة " (عبد نور ، ص ٣١٦).

وبهذا المعنى تكون نصوص الذاكرة الجمعية حاملة خطابات عوالم المهمشين والمقصيين قصدا من السلطة والمراكز المجتمعية ، وفي ضوء هذا السياق تكون دراسة هذه النصوص " غير مهتمة باللغة في ذاتها ، ولا بأشكال بنائها ، ولا بمنطقها الداخلي ، بل غايتها وصف أحداث الخطاب في ماديتها ووضعيتها ، والتساؤل عن شروطها التاريخية وعلاقتها بالأحداث الخطابية المماثلة " (عبد النور ، ص، ٣٢١) فالبحث هنا ليس عن المعنى بل عن الظروف التي أنتجت الحدث وأحالاته إلى نص مكتوب. تأسيسا على ما تقدم فإن النص المكتوب ضمن هذا الإطار ، يقترب من آليات الكتابة الأدبية لما لها من " دور في تكوين الذاكرة الحضارية ، لهذا صار مبحث الذاكرة لا يربط بين العلوم الأدبية والعلوم الثقافية فحسب ، بل أصبح يؤسس لحوار متعدد التخصصات بين العلوم الأدبية والعلوم التاريخية والعلوم الاجتماعية وعلم النفس أيضا" (سوكاح ، ٢٠٢٠) الأمر الذي يحيل (النص الذاكراتي) إلى أن يفتح على نوافذ عديدة لدى المتلقي ، وبما أنه نص مكتوب ، فقد أخذ من الأدب أدواته للتمثل والحضور والانطلاق إلى الأمام ، إذ أن الأدب " يعد وسيطا إبداعيا للتعبير الواقعي أو الخيالي عن الواقع الماضي والحاضر، وعن كل ما هو مستقبلي أيضا ، وبهذا المعنى هو تأسيس سردي للهوية ، وذلك لقدرته على استعادة الماضي تلبية لحاجات الفرد والجمع الراهنة ، وفي ضوء هذا يظهر أن الأدب والذاكرة يشتركان في الوظيفية الهوياتية ، والانطلاق من الماضي لتأسيس هوية جمعية والمحافظة عليها" (سوكاح ، ٢٠٢٠).

الأنساق الثقافية في الحلة عاصمة السخرية المرة :

عرّف اللسانيون النسق بأنه النظام ، وهذا ما يتوافق مع تعريفه المعجمي وهو " ما كان على طريقتين نظام واحد ، عام في الأشياء ، وقد نسقته تسيقا ، ويخفف ، ونسقه نظمه على السواء ، وانتسق هو وتناسق ، والاسم النسق ، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت " (ابن منظور ، ٢٠١١ ، ص ٣٣) وفي ضوء الدراسات الحديثة أخذ مفهوم النسق أبعادا مختلفة عن الحدود اللغوية القديمة ، فمن حيث هو نظام للأشياء واتساقها المرئي ، فهو نظام من نوع آخر ، له هيمنة خفية على الفعل الثقافي في المجتمع ومؤثر فيها ، فهو على حد "تعريف عبد الفتاح كليطو مواضعة اجتماعية ، دينية ، أخلاقية ، استيطيقية ، ترضها ، في لحظة معينة من تطورها ، الوضعية الاجتماعية التي يقبلها ضمنا المؤلف وجمهوره" (الأخرس ، ٢٠١٧ ، ص ٢٢) ومن ثم يضع عبد الله الغدامي حدودا خاصة لطبيعة الأنساق في النصوص في أنها معلنة ومضمرة ومتعاكسة وأن النسق المضمرة يأتي ناقصا ويكملها المعلن و" يتحد عبر وظيفته ، وليس عبر وجوده المجرد ، وإن الوظيفية النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمرة ، ويكون المضمرة ناقصا وناسخا للظاهر ، ويكون ذلك في نص واحد" (الأخرس ، ص ٧٧) ، ومن ثم يشترط الغدامي شروطا لدراسة الأنساق المهيمنة على الطرفين ، الكاتب والمتلقي ، ويحدد الشروط بأنها تحمل الدلالة ، وغير " مصنوعة من المؤلف ، ولكنها منكتبة ومنغرس في الخطاب ، مؤلفتها الثقافة ، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء ، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود " (الغدامي ، ٢٠٠٥ ، ص ٧٩) وأن النسق كامن بالخفاء خلف أقنعة النصوص وذا " طبيعة سردية ، يتحرك في حبكة متقنة ، ولذا فهو خفي ومضمرة وقادر على الاختفاء دائما ، ويستخدم أقنعة كثيرة تمر من خلفها الأنساق آمنة مطمئنة وتعتبر العقول والأرمنة " (الغدامي ، ٢٠٠٥ ، ص ٧٩). ثمة احتراز اصطلاحي يشير له الغدامي حول اشتراط دراسة النسق بوصفه مفهوما كامنا في الخطاب وهو أن دراسة الأنساق " لا تعني النص بمعناه الأول ، وإنما المقصود الخطاب ، نظام التعبير والإفصاح ، سواء كان في نص مفرد أو نص طويل مركب أو ملحمة أو في مجموع إنتاج مؤلف ما ، أو في ظاهرة سلوكية ، والمهم هو وجود النسقين معا في حالة استصحاب لازمة" (الغدامي ، ص ٨٠) ونحاول في هذا البحث استجلاء الأنساق الثقافية المجتمعية في مدونة نوفل الجنابي ، رغم أن كتاب الجنابي ، جاء صريحا صراحة واضحة ، إذ عمد إلى كتابة ذاكرة المجتمع كما هي ، من دون خيال أدبي ، إلا لبعض الضرورات السياقية ، ومن دون خشية في الكشف عن حقائق شخصية تخص أناس عاشوا حياتهم على طرقهم الخاصة ، إلا أن الحكايات والأحداث التي وردت ، أنت بأنساق عديدة تعكس وعي المجتمع وتمثلت في النص المكتوب.

أ- الذكورية (الفعل المجتمعي) :

يعد مفهوم الرجل الذكر ، الفعل ، من المفاهيم الراسخة الثقافة العربية ، ويشكل هذا المفهوم معمارا راکزا في الخطاب العربي على مر العصور ، لا سيما الخطاب الشعري ، ومنه تسرب" إلى الخطابات الأخرى ، ومن ثم صار نموذجا سلوكيا ثقافيا يعاد انتاجه ، بما أنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي ، مما ربي صورة الطاغية الأوحده فعل الفحول ، وقد جلبت معها منظومة من القيم النسقية انغرست مع مرور الزمن لتشكل صورة للعلاقة الاجتماعية بين فئات المجتمع " (الغدامي ، ص ٩٤) ، ومن ثم يقوم المجتمع بفعل التعاضدي ، وإقامة التبريرات لهذا المفهوم والذي هو صورة حقيقية للقوة والعنف الضمني المضمرة ، إذ أن " قوة النظام الذكوري تكمن في كونه في غنى عن التبرير" (بن سلامة

٢٠٠٥ ، ص ٧٥) فهو راسخ ومستقر ولا يمكن خدشه أو زحزحته ، ليأخذ مكانته ، و"التبريرية الاجتماعية التي يتم بها الإقناع بالهيمنة الذكورية ، هو ناتج عن العنف الرمزي المرتبط بالهيمنة الذكورية" (بن سلامة ، ٢٠٧٥) ويصفه عالم الاجتماع الفرنسي بورديو (١٩٣٠-٢٠٠٢) بأنه "عنف هادئ ولا مرئي يجعل المهيمن والمهيمن عليه يشتركان معا في نفس اللغة ، وفي نفس المقولات التصنيفية التي يبتنيان بها العالم" (بن سلامة ، ص ٧٥). في حكاية "سليم فلبس" وهو واحد شخصيات محلة (الأكراد) القديمة في الحلة ، لديه مقهى يصفه الكاتب بأنه "أحد أعلام الكراد" (الجنابي ، ٢٠١٤ ، ص ٤٩) وأن لفظ (فلبس) كما يذكره المؤلف هو لقب أطلقه عليه الأهالي بسبب أن "سليم أعور بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى" ، مطلقين ذلك عليه تندرا وسخرية تشبيها بجهاز الراديو المترع في مقهاه ، و الذي له عين واحدة تشبه عين سليم ، "إلا أن أفضل من وصفه هي اخته قومية" (الجنابي ، ص ٥٠) أثناء ذهابها إلى إحدى العائلات من أجل إيجاد زوجته له ، فبعد حوار دار ، خرج بنتيجة عدم الموافقة على سليم لأسباب غير معلنة ، انتفضت قومية وأطلقت هجومها على أهل الدار ، والذي كانه اسمه بالمصادفة بيت أم سليم :

" - ليش يمّة شبيهه سليم شناكسة؟

- ما كلنا شي .. بس؟..

قبل أن تنتهي من جملتها ، انطلقت قومية لتضع النقاط على الحروف :

- قبل ما تبسبين .. أني أكلج :

أصلح .. وشنو يعني ، الصلعة صلعة موظف . عينة عورة .. حجي عداوات .. أروح فدوة لعينة ، هي شوية رايحة علمينة .. حوال حسن ولا يكله . يشرب عرگ .. منو ميشرب عرگ ، يمكن بس سيد أبو هوسة ميشرب .. والله العالم .. " (الجنابي ، ص ٥٢) وهنا تشير قومية شقيقة سليم إلى الطبيعة الجسمانية لشقيقها بأنه أصلح وذات عين عوراء ، ويشرب الخمر ، ومن ثم يصل الحوار في دورته إلى إعلان قومية بأن أخيها ليس بحاجة إلى الزواج والسبب ، هو أن سليم استعاض عن ذلك بالبديل الجنسي عن النساء ، بحسب إشهار شقيقته قومية بهذا السر " حتى اجبيلجها مثل ما هي .. أصلا هو لا بحال الزواج ولا بحال النسوان .. هذولاك الـ تارسين البيت .. ف ... طاب ف... طالع" (الجنابي ، ص ٥٢). تنتصر الأنثى هنا إلى قوة وذكورية الرجل ، إلى درجة إلغاء واحدة من وظائف المرأة الجسدية ، وتتماهى تماما مع الذكورية المهيمنة على المجتمع ، رغم هيمنة المنظومة الدينية والأخلاقية ، والأعراف والتقاليد الثقيلة على المجتمع والتي تحدد سلوكه ، وترفض ما يخدم جدار هذه المنظومة ، إلا أن أمر الشذوذ الخارج عن الفطرة الإنسانية مشاع وموجود ومستقر في الخفاء وكأنه يمر من دون رفض لتبدو وكأن "هذه الاتجاهات الجنسية مفتوحة وتحظى بتسامح واضح ، فكما أن تحريم الخمر لم يمنع شرب الخمر وإنشاد الأشعار فيها ، فإن تحريم المثلية الجنسية لم يسد أبواب اللذة المحرمة وأبواب التغني بها" (بن سلامة ، ص ١٧). لم يترك الجنابي حكايته سليم من دون خاتمة ، إذ تتبع أخباره ، ليكشف لنا موقفا حياديا شخصيا ، من دون ميل إلى طبيعة شخصية سليم التي ترك حكمها للمتلقى ، وبين موقف القانون الذي يجرم أفعال الشذوذ ، ويكشف بأن سليم أودع السجن ، بسبب أفعاله مع شريك له في الجرم هو (عليوي أبو الأنس) مع إلقاء القبض عليهما وتقديم الأوراق إلى القضاء "مرافعة القضاء أنهت بسليم سجيناً لسنتين أما عليوي فكان نصيبه ستة أشهر لأنه سهل الجريمة بمراقبة الطريق أثناء قيامه بالجريمة" (الجنابي ، ص ٧٢) . ومن ملامح إعلاء الذكورية في المجتمع ، هي المحافل الكبيرة التي تتيح الاختلاط والتجمع بين الجنسين ، لاسيما التجمعات الدينية التي يشهدها العراق في أيام شهر محرم الحرام ، والذي فيه ذكرى مقتل الإمام الحسين حفيد النبي محمد والذي وقع سنة ٦١ هجرية ، إذ "يمارس مجلس العزاء دورا هاما في تحشيد الممارسين وتهيئتهم نفسيا واجتماعيا للمشاركة في مختلف طقوس عاشوراء ، ويساعد مجلس العزاء في إدامة علاقة الأفراد ببعضهم" (الخطاب ، ٢٠١٩ ، ص ١٨٧) ، ففي الأيام الأولى من هذا الشهر يخرج الشيعة بمواكب عزاء يحيون فيها ذكرى المقتل ، بأساليب عديدة ، يطغى على تلك المناسبة لبس السواد ، وإشهار الحزن تأسياً بمقتل هذا الرجل الذي قتل من أجل الدين الإسلامي ، وهذا هو الظاهر والطاغي على الصورة الكلية ، تتيح هذه التجمعات سلطة ما لبعض الرجال لقيادة التجمعات البشرية الهائلة التي تملأ الشوارع بالمئات ، يلتقط الجنابي مشهدا من مشاهد هذا الطقس السنوي ويكشف عن خفاياه : "احتمل الأمر أيضا فسحة عريضة للغزل، حتى أن نصف اللاطمين متهمون بأنهم يزيدون الضرب حين يلحون عيناً واسعة أو حاجبين معقودين. أما حين يعلو صوت الحشد الناعم المتواري وراء العباءات السوداء بالنواح، فعلى الصدور السلام" (الجنابي ، ص ٢٧٧) رغم طغيان الصبغة المحافظة على المجتمع ، فضلا عن وضع المناسبة الدينية المهيبة ، إلا أن الجنابي توغل في العمق وكشف عن السمة الذكورية المنغرس في الطبيعة البشرية التي لا يحدها حد ، فثمة تناغم بين الجنسين عن طريق إبداء الحركات الخشنة الملفتة لنظر العيون الواسعة خلف الخمار ، إلا أنه يؤكد بأن الأمر تهمة في

نظر المجتمع الذي يرفض تلك الأساليب ، لكن الأمر يمر طبيعياً ومن دون محاسبة أو تقليل شأن ، بسبب طغيان الذكورية . ثمة ملمح ذكوري آخر في أنساق مجتمع الكتاب ، أن أغلب الحكايات التي كتبها الجنابي هي ذكورية، إذ كان أبطالها رجال ، وتمر حكايات النساء مروراً بسيطاً ، في إشارات بسيطة من قبيل التلميح لهن بالأزياء ، أو ذكر بعض الصفات أو أماكن العمل ، ومن دون تصريح ، مما يدل على الهيمنة الذكورية ، والعزل التام بين الجنسين ، للتصدر حكايات الرجال الواجهة ، وتتناقلها الألسن ، بمعزل عما يجري في عالم النساء المغلق ، إذ أن " عالم النساء في الحلة ، مختلف ، مغلق . وهما صفتان مثاليان لجعله مرتعا خصبا للنميمة وصناعة حكايات نصفها خيال ونصفها الآخر لم يحدث" (الجنابي ، ص ٢٣١). أسهم هذا العزل بتقسيم المجتمع إلى نصفين ، نصف في المنازل متوار عن الأنظار وهو النساء ، والنصف الآخر الرجال الذين يملؤون الشوارع والمقاهي والأسواق تربطهم علاقات خاصة بعناوين مختلفة ، يغلب عليها الطيب والتخلق بالأخلاق العالية ، إلا أن هذا قد لا يصمد أمام أي طارئ ما ، يهشم القيود ، ويكشف عن خبايا سلوكيات الذات الانسانية ، كما حدث مع بنات (بهجت منصور) اللواتي كشفنّ المستور " وسط هذا الطوق الحديدي هبط في الحلة رجل اسمه بهجت منصور ... مثل كل الموظفين ، نزل بهجت .. ومعه عائلته . وفي عائلته أصل الحكاية وفصلها ، فقد كانت الحجر الثقيل الذي سقط في بحيرة الحلة ، لتتطاير منها الأسماك والسلاحف والضفادع .. حجر بهجت كان يتألف من زوجته وثلاث بنات وفتى .. قوة الحجر الكامنة كانت في البنات الثلاثة" (الجنابي ، ص ٢٣٧) ومن ثم يستمر برسم صورة هذه العائلة المنحدرة من أصول مسيحية ، والتي لها سلوكيات خاصة ، تختلف عن سلوك المجتمع الحلي ، منها " كنّ يخترقن الشوارع ، وهن بكامل الطغيان الأنثوي بتحرره الذي أضافت له مسيحية العائلة بعدا أسقط (تباعي) البنات في الحلة بالضربة القاضية.. بينما يتحرك (موكبهن) ، تتحول الشوارع إلى سيرك صاخب " (الجنابي ، ص ٢٣٧) من حركات الشبان " أما المقاهي فتصمت الأصوات العابثة وتتوقف قرعة الديمون وتشرب الأعناق .." (الجنابي ، ص ٢٣٨ و ٢٣٩) يكشف هذا السلوك التعارض النسقي في السلوكيات ، فالمجتمع المحافظ الذي تلوّه صبغات التدين والأخلاق ، يهتّر من أبسط الأمور ، فينفرد العقد ، كاشفاً عن الفقر العاطفي في التواصل مع الجنس الآخر ، المخفي قسراً بسبب الهيمنة الذكورية المستقرة ، مما يجعل من هذه السلوكيات أن تكشف عن " افراط في الافتقار والنقص في العقل ، فالطبيعة الإفراطية تجعله متنافيا مع الأخلاق وتجعله فوضى جسدية وتجاوزا للحد ، ولمبادئ الاعتدال والتوسط" (بن سلامة ، ص ٤٧) .

ب- الثرثرة القاهرة :

يرد معنى الثرثرة في معاجم اللغة بأنه كثرة التشدق بالكلام ، وهو عند ابن منظور " رجل ثرثر ثرثار : متشوق كثير الكلام ، والثرثار أيضا الصياح ، والثرثرة بالكلام : الكثرة والترديد ، وفي الحديث شريف: أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَغَيِّهُونَ ؛ هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجاً عن الحق" (ابن منظور ، ص ١٠٥) . ثمة أسباب عديدة تسهم في التأسيس لهذا السلوك المجتمعي ، وهي نابعة من الآثار الخارجية التي تضرب المجتمعات منها سياسة ، واقتصادية ، واجتماعية ، تؤثر في السلوك العام ، وتحول الأفراد إلى مجموعة من الثرثرين ، وهذا السلوك ضارب في المجتمع العراقي ، ويصل به الحد إلى التكيل بالآخر الخوض في تفاصيل حياته " وهو سلوك يتسم بالصفة القهريّة حيث يسعى بنشاط سري أو غير سري للتظاهر بالعلم وادعاء الخبرة للتقليل من شأن الشخص الآخر سواء من كان منافسا له أو من لم يكن كذلك (ياسين ، ٢٠١٣ ، ص ١٩٢). ينشط هذا السلوك عراقيا في المقاهي العامة المنتشرة كثيرا في المدن العراقية ، وأسباب انتشارها هو " ما لحق بالشعب العراقي من ظلم سياسي ، وغبن اقتصادي وتخلف اجتماعي فوجد العراقي نفسه يرتاد المقاهي لتصير له متنفسا يبيت فيها همومه ويلتقي بأصدقائه العاطلين عن العمل" (مهدي ، ٢٠١٣ ، ص ١٧). " يتزعم عدنان زلّاطي جماعة أطلقت عليها الكراد* اسم (شوفوووه .. احچوا) (محلّة الكراد ، من مناطق الحلة القديمة) هذه الجماعة تجلس في مقهى يشرف على الشارع العام ... يبدأ زلّاطي بتفحص المارين بمجرد أن يلوّحوا له من بعيد ، ما أن يشخص القادم حتى يبدأ بالتفكير ، وقبل أن يصل إلى حدود المقهى بعشرين مترا ، يكون قد قرر ما إذا هناك ما يستحق التشريح أم لا" (الجنابي ، ص ٥٩ و ٦٠) . هذه واحدة من حالات القهر العراقي التي أصيب بها المجتمع ، إذ أن مرحلة السبعينات وهي زمن الحكاية ، كانت تمثل بدايات قهر السلطة للمجتمع ، مع صعود حزب البعث إلى الحكم ، إذ أصبح المواطن العراقي غير قادر على مناقشة واقعه المرير ، خوفا من عيون السلطة المزروعة في كل مكان ، فذهب ينال من أقرانه في المجتمع بطرق شتى ، ويصب جام غضبه عليه ، وهذا متأني " بسبب سياسة العزل والتجوع والخوف والرعب والتصفيات الجماعية الدموية التي مارستها الدكتاتوريات الدموية المتعاقبة بحق الشعب العراقي ، فإن مستوى العلاقات الاجتماعية والتقاليد والعادات وسجايا اللياقة والأدب الاجتماعي تدهور وانخفض على نحو واضح في عموم فئات المجتمع" (ياسين ، ص ٤٥). ليتحول الخطاب المجتمعي إلى خطاب قمع الذات والمجتمع معا ، في تعارض نسقي مع دواخله الراضية للواقع العام ، إلا أن هذا الرفض غير معلن بسبب الخوف من بطش السلطة ، وهو ما وُد اضطراب داخل الشخصية العراقية ومن ثم المجتمع الذي تحول

بدوره إلى عدائي ، عدائي تجاه ذاته وأفراده وساخرا منه . " في النصف الأول من السبعينيات ، اجتاحت الشباب حمى تقليد الأمريكية آنجيلا ديفز ... والعلامة الفارقة لهذه الشخصية هي الشعر وسلاسلها ونظاراتها المدورة .. " (الجنابي ، ص ٦٢) انتقلت مظاهر هذه الناشطة إلى المجتمع العراقي وتقليدها في تسريحة الشعر وارتداء سلسلة الهيبين* وكذلك الملابس في لحظة تمرد على الواقع تأثرا بتلك الحركة " ليس على نطاق واسع ، بل بين المتمردين .. كان معظم هؤلاء من هواة موسيقى البوب والمستكفين من سماع الموسيقى أو الغناء الشرقي .. والعلامة الفارقة التي كانت تثير (متحرفو الاستيغاب) هي ياقات قمصان هؤلاء . كانت طويلة جدا .. ما أن لاحت كرة الشعر المنكوش فوق الرأس ، حتى صاح زلطي من قاع قلبه : شوفوووووووه ... ومن ثم توالى التعليقات التي لم تخرج عن السخرية من شكل الضحية الخارجي " (الجنابي ، ص ٦٢ و ٦٣ و ٦٤). إن مفاهيم من قبيل الحداثة ، والمزاج الثوري على كل شيء ، والانفتاح الذي كان طاغيا قد وصلت المنطقة العربية والعراق منها من طريق الترجمة في مرحلة الستينيات ودفعت الشباب " باتجاه الأفكار المجردة ، دون التفاتة إلى الواقع الأرضي ، وإخضاع الفعل السياسي التاريخي المغير إلى أهوائهم المبدعة في حقل العواطف والمخيلة " (كريم ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢) ، وهذا ما أنتج انقساماً بين شرائح المجتمع واضطراب عكسي خلف " تدهورا في مستوى السلوك الاجتماعي وتقاليدهم اللياقة بصورة شنيعة في صفوف المجتمع العراقي ، فأمنوا في إهانة المأكّل والمشرب والملبس والحديث والألفاظ واللغة المحكية والعلاقات الاجتماعية العامة ، فتم بالتدرج طمس الكثير من العادات الجيدة والقيمة واستبدلت بعادات سيئة" (ياسين ، ٤٦) يمكن تلمس التعارض النسقي بين المخفي المضمّر والعلني ، فهناك متمردين على المنظومة السياسية والاجتماعية ، وهناك من هو مغرّق تماما في تلك المنظومة ، يتمنى الخروج عليها لكنه لا يستطيع بسبب الأطواق ، فيتجه إلى السخرية من المتحرر ، الذي يمر من دون الالتفات لهم ، ومن ثم وجود تعارض عام " يقع بين صنفين من الفاعلين الاجتماعيين ، أناس يفكرون بعقلية تقليدية مدرسية تراجعية ، لكي ينتجوا المآرق ، ويحصلوا الإخفاقات بقولهم الجامدة وأساليبهم القمعية ، مقابل أناس منفتحين متحررين يعملون على تثوير أنماط التفكير وأساليب العيش " (حرب ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥٦) إن نسق الثرثرة المجتمعية القاهرة في مدونة نوفل الجنابي ، يكاد يكون هو النسق المهيمن على مجمل أحداث حكايات الكتاب ، حتى إن بقاء هذه الحكايات في الذاكرة المجتمعية ، يمثل شكلا من أشكال القهر المجتمعي بأداة الثرثرة ، وأن المؤلف أراد تعرية هذه السلوكيات ، في محاولة رفض ضمنية لها.

ج- المعارضة المجتمعية للسلطة :

تطالعنا معاجم اللغة على واحد من معاني لفظ السلطة بأنها حكم طرف على طرف آخر بالشدّة والقهر والحدة، و " التسليط إطلاق السلطان وقد سلطه عليه ، وفي التنزيل الحكيم (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ) (سورة النساء ، آية ٩٠) والسلطة الحدة ، وحافر سلط سليلط : شديد ، وقال ابن جني : هو القاهر من السلاطة ، والسلطة السهم الطويل " (ابن منظور ، ص ٥٢) ، فيما ترد حدود هذا المفهوم عند جميل صليبا في المعجم الفلسفي بأنه " القدرة والقوة على الشيء ، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره ، وضمن هذا المفهوم تنقسم إلى السلطة النفسية ، والشرعية ، والدينية " (صليبا ، ١٩٨٢ ، ص ٦٧٠). ومن ثم يفصل صليبا القول عن هذه الأنواع ويحدد الفرق بين السلطة والتسلط ، ويرى " إن سلطة الدولة في النظام الديمقراطي مستمدة من إرادة الشعب ، لأن الغرض منها حفظ حقوق الناس ، وصيانة مصالحهم لا تسخيرهم لإرادة مستبد ظالم" (صليبا ، ص ٦٧٠). تأسيسا على ما سبق فثمة فرق بين مفهوم السلطة والتسلط ، وهو ما يلزم التمييز بينهما ، فالسلطة "في المفهوم الفلسفي والأخلاقي ، ضرورة اجتماعية لتنظيم أمور المجتمع ، وضرورة أخلاقية لتحقيق العدالة ، ومشروعها يحتاج إلى قوة تنفيذية ، فيما يعطي مفهوم التسلط معاني الظلم والقهر والإرهاب والإكراه والتشدد والعنف" (هويدي ، ٢٠١٨ ، ص ١٥). في بلد شرق أوسط مثل العراق ، وتحديدًا في الزمن الذي تشير له الحكايات والمواقف التي دونها الجنابي، وهي (مرحلة هيمنة حزب البعث على مقاليد السلطة في العراق ١٩٦٣ إلى نهاية العقد إلى انهياره ٢٠٠٣) لم تكن السلطة قائمة على البعد الأخلاقي الضامن لحقوق المجتمع ، بل أنها كانت سلطة متسلطة تمارس العنف والترهيب تجاه أفراد المجتمع ، وهذا ما حدده نوفل الجنابي ، في سرد حكايات الكتاب ، والذي كشف عن موقف شخصي أولا أمام السلطات التي حكمت العراق ، ومن ثم الموقف المجتمعي بشكله العام ، تولّد هذا الموقف عند الكاتب منذ الصبي لديه ولدى رفاق الطفولة . كانت هذه المواقف عبارة عن طيش طفولة ، لكنه في جانبه الآخر يعكس مواقف وتنمّر الأهالي داخل البيوت ، والذي عكسته تصرفات الأطفال الذين كانوا ينتظرون مرور (عزيز السري) ، يصور لنا الكاتب أولا صورة عزيز " لا أستعيد منه إلا صورة واحدة ، صورته وهو يمرّ عصرا دافعا بدواسة دراجته الهوائية بكسل وتثاقل من تحت قميصه المائل إلى الصفار ، ومن جهة الظهر اليمنى يبرز نتوء بحجم قبضة طفل .. أنه المسدس ... كان المسدس كائنا غريبا نادر التداول بين غير العسكريين في المدن بل إنه ليس شأنًا مدنيا إطلاقا، المستثنون من هذه القاعدة رجال الأمن ... رجال المباحث السياسية ومن بينهم عزيز الذي لم يكن يعرف إلا بلحاق صفة (السري) باسمه" (الجنابي ، ص

(١٧) يقدم المؤلف هنا صورة متكاملة عن النمط الأمني السائد آنذاك والذي بدى متطورا عن سابقه ، إذ أن السلطة بدأت بزج عناصر أمنية مسلحة من شأنها مراقبة الناس ، إذ " استطاع حزب البعث من ضم الكثير من جماعات الشغب والجريمة ، التي وجدت الملاذ والرعاية والاحتواء في كيان الحزب وتنظيماته فاستخدمها كركائز للمواجهة" (الطائي ، ٢٠١٣ ، ص ٢٢٩) ، وهو ما ولد مواقف وسلوكيات مجتمعية ظاهرة وباطنة لدى قطاعات واسعة من المجتمع ، فضلا عن استعداد أفراد أكثر في تقديم المساعدة للسلطة و التورط في جريمة قمع المجتمع ، يواصل الجنابي الحديث عن (السري) " كئنا ننتظر مروره ذهابا إلى دائرة الأمن أو عائدا إلى بيته ، لنصطف وراء صفوف أشجار الآس الممتدة في المنتزه ... لا تظهر إلا رؤوسنا الصغيرة التي تنزل إلى الأسفل مخفية عن عيني عزيز .. ما أن يصل أمامنا حتى نصرخ بصوت واحد : - من راقب الناس ... مات همّا" (الجنابي ، ص ١٨) يكشف لنا هذا التصرف ليس عن موقف الأطفال الذي تبلور عندهم وعي المعارضة مبكرا فحسب ، بل هو يؤكد الموقف الخفي عند عائلات هؤلاء الأطفال من السلطة التي تمكنت من رقاب الناس ، وانعكس على هيئة تصرفات يقوم بها الصغار تجاه المهمين الجديد الذي يحمل السلاح ليعلم الموقف المسبق من نيته بالمواجهة ، وقد تصل درجة المواجهة إلى القتل العمدي الأمن ، والذي يمر من دون محاسبة ، لأنه قتل شرعي من أجل أمن الدولة والحفاظ على مكتسباتها ، من حملة الأفكار الهدامة من وجهة نظرها .

إن الممارسات التي تقوم بها السلطة تجاه المجتمع ، وصل بها الحال إلى أن تتحكم في الفرد وتحديد أولوياته وترسم له المستقبل بمعزل عما يريد هو ، وهذا ما يقترب من توصيف ميشيل فوكو لشكل هذه السلطة بأنها (سلطة رعوية) وهي بمفهومه " تخترق جميع الانشغالات الجماعية والفردية على حد سواء ، فحين اخترقت البيئة الحيوية للوجود الشخصي عندئذ لا مرأى في أن السلطة تمارس نفسها انطلاقا من نقاط لا حصر لها " (عبد النور ، ص ١٧٥) ، وتصدر القرارات التي تفرض وجهة نظر خاصة تعكس رغبات الحاكم . يقرر هاشم قدوري محافظ بابل " منع الحلويين من افتراش عشب الضفاف البارد والشرب على الشط " (الجنابي ، ص ٩٥) إذ أن شرب الخمر على ضفاف الأنهر كان من عادات بعض محدودي الدخل ، ولم يأت هذا القرار من خلفية دينية لدى المحافظ ، لأنه وكما يكشف المؤلف كان يحرص على " عدم إضاعة ليلة من دون أن ينهي (نص العرق) في نادي الموظفين المقابل لبيته ... لم يكف عن مطاردة أهل المدام خصوصا ذوي الدخل المحدود من شارع إلى شارع مضيقا عليهم الخناق لسبب لم يعرفه أحد" (الجنابي ، ص ٩٥) هذا الفعل خلق لدى هذه الفئة أشكالا من التملص من هذا القرار ، وابتكار سلوكيات معارضة لقرار السلطة ، يروي المؤلف موقفا شخصيا حدث معه حينما نده عليه شخصان " مررت بمحاذاتهما ، أليقت السلام ثم ملت يسارا نحو البيت ، خطوات وسمعت صوت أبو دليو : ابن عمي .. بروح أبوك .. المرّة قصرت . عدت بعد قليل حاملا خيارا مخلا ... تقاجأت باختفاء قبيني العرق وبتخاذ كاظم أبو دليو وهاشم أبو الدهين وضعية الصيادين ، مدليان بأرجلها في الفراغ بين الماء والجرف ، كل منهما ممسك بخيط .. تلفتا يميننا نحو شرطيين يبتعدان .. ليغيبا في الظلام .. قال كاظم : اسحب هاشم راحوا ..." (الجنابي ، ص ٩٦) إن القيام بعملية الإخفاء المتحایل على عناصر الشرطة ، يعكس موقف هذه الفئة من السلطة ؛التي تبدو ومن وجهة نظرهم قامة لحربتهم الشخصية وبشكل فعال ، ومن ثم يدلل هذا التصرف العفوي على وعي مجتمعي خاص يحاول من خلاله المجتمع التقدم لمواجهة السلطة والقيام بفعل عيني مختلف " ضد الأنظمة وخلق صراع مع السلطة التأديبية ، وهنا لا ينبغي سلوك طريق الحق القديم بالسيادة ، بل النزوع إلى حق جديد يكون متحررا ليس فقط من الأنظمة ، إنما من مبدأ السيادة " (ينظر : عبد النور ١٧٥) وفقا لما يراه العقل الجمعي من تأدية سلوكيات تحفظ الحياة من القمع محققة البقاء ، والتنفيس بالقيام بفعل رفض السلطة . إن أنساق رفض السلطة في الإطار الاجتماعي له أشكال مختلفة ، وبطبيعة الحال فإن مجتمعا مثل المجتمع العراقي انطوى على تعدد ديني ، وهذا التعدد فسح المجال لأداء الطقوس الدينية تمر من خلالها أساليب رفض تعسف السلطة ، تارة عبر الخطاب وتارة أخرى عبر السلوكيات التي يقوم بها الأفراد وسط الحشد الطقوسي ، من أجل تحقيق الوجود الشخصي والحرية المفقودة ، إذ أن "الدين يمارس دورا إيجابيا في نطاق العلاقات الاجتماعية ويسهم في تماسك المجتمع ويملأ الفراغ الروحي للفرد" (عبد النور ص ١٧٦) ، وعادة ما تتيح الطقوس الدينية في العراق حرية التحرك والظهور من المخابئ إلى شريحة الهاربين من الخدمة العسكرية " الهاربون من الخدمة العسكرية المعروفون ب (الفرارية) كانوا يجدون في أيام محرم فرصة للخروج من مخابئهم . السبب هو الحشود التي يصعب على جماعة الانضباط العسكري التحرك بسببها أو ممارسة استعراضاتهم في المطاردة... بعض الفرارية ذهب إلى الدخول ضمن من يمثلون الواقعة* في شوارع الحلة صناعا من لحيته المصققة على عجلٍ وطاسة الماء المحوّلة إلى خوذة حرب ، ستارا يقيه الانضباط العسكري " (هويدي ، ص ١٨٩) ، إنها لحظة تخفي من قبل الفرد تحت الإطار المقدس ، إذ أن الشعائر تتيح له الضياع وسط الحشد البشري ، وأنه قد يستطيع ممارسة بعضا من حياته الطبيعية المفقودة في هذه المناسبات ، إلا أن الأمرين : الهروب من الجيش ، وممارسة الطقوس كلاهما يعكسان موقفا مسبقا من السلطة ، فالهروب هو رفض مطلق لهدف السلطة من عسكرة المجتمع ، وممارسة الطقوس تضمّن هي الأخرى رفضا

آخر ، ولكن بلباس ديني ، إذ أن أغلب هذه الطقوس كانت ترافقها قصائد وخطابات تدين السلطة من خلال نذب الإمام الحسين ، وبهذا يجد الهارب فرصة لإخفاء هويته وممارسة رفضه من خلال الطقس الديني .

الذاتة :

بعد أن درس البحث كتاب (الحلة عاصمة السخرية المرة وذكرى الساخرين) في ضوء نظرية النقد الثقافي وأجرى مقارباته من عينة البحث والبحث في الأنساق المضمرة ضمن الثقافة الكلية للمجتمع ، توصل في نهايته إلى جملة من النتائج :

١ . إن النقد الثقافي بوصفه منهجا علميا هو قادر على دراسات الخطابات بمجملها ، بمعزل عن هويتها الاجناسية من الناحية الأدبية ، وكذلك النصوص غير الأدبية ، إذ أن هذا المنهج يسلط الضوء على الثقافة المرجعية لدى الكاتب التي أنتجت النص .

٢ . استطاع النص الثقافي غير الجنس أن يمتص العديد من الأنساق المجتمعية التي تشكل ثقافة المجتمع وهو ما يتيح البحث في أنساق الثقافة والتاريخ والذات والهوية .

٣ . إن كتابة الذاكرة المجتمعية تمثل شكلا من أشكال كتابة التاريخ ، إلا أنها كتابة غير علمية ، فهي تمثل الرواية غير الرسمية للأحداث ، وعادة ما تكون غير مؤدجة وليس لها أهدافها الخاصة لتحقيق مصلحة ما .

٤ . كما أن نصوص الذاكرة المجتمعية ، تسير بموازاة التاريخ العلمي ، وتكون واحدة من روافده التي تعيد في دراسة مخافي المجتمعات ، بوصفها نصوصا ثقافية تحيل إلى زمنها وتعكس تصورات مرحلة انتاجها .

٥ . عرض الكتاب صورة مقربة عن عينات مجتمعية هامشية ، لم يذكرها التاريخ الرسمي ، وبهذا تشكل هذه العينات مدخلا مهما لدراسة المجتمع العراقي في ضوء مدونة الجنابي السردية أو السرديات المشابهة ، وقد يصل الباحث في هذا الشأن إلى نتائج جديدة ومغايرة عن الدراسات السابقة

٦ . كشفت هذه المدونة عن المواقف المجتمعية والفردية من السلوكيات الشاذة ، وكذلك الموقف من السلطة الحاكمة وكانت صورة تلك المواقف مجسدة في سلوكيات تضرر ميولا خاصة في دواخل الذات العراقية.

٧ . تمثل هذا الكتاب على عدد من الصيغ التي مكنته من أن يسير على طريق الأنواع السردية مستعيرا منها لغة الوصف والعرض والإخبار ، ومن دون التدخل في صناعة الأخيلا الأدبية إلا في حالات معينة ، وبهذا يكون هذا النص نصا ثقافية يروي حكاية واقعية .

Sources and references

1. Kazem, Nader, (2007). Uses of memory in a pluralistic society, Bahrain, Fakhouri Library.
2. Ben Salama, Rajaa, (2005). Masculinity build up, Research in the Masculine and Feminine, Damascus, Petra House for Publishing and Distribution.
3. Kawtharani, Wajih, and Nasr, Marilyn (2015). Oral History, Collection of Authors, First Edition, Volume One, Doha, Qatar, Arab Center for Research and Study of Politic.
4. Huwaidi, Muhammad Abdel Hussein (2018). Representations of authority and its cultural references in the novels of Fouad Al-Takarli, Basra, Dar. Shahryar.
5. Karim, Fawzi, 2006, The indifference of the sixties, the whims of the intellectual and the dangers of political action, Baghdad, Al-Mada.
6. Al-Taie, Abdul Hussein (2013). Dialectic of the relationship between the intellectual and authority, London, Iraqi Cultural Center, Dar Al-Hekma.
7. Harb, Ali (2000). Ends speech, Conquests of Globalization and Dilemmas of Identity, Morocco, Cultural Center.
8. Sukah, Zuhair 2020, The Field of Memory Studies in the Humanities and Social Sciences, Arab Center for Research and Policy Studies, published research, Sotour Journal for Historical Studies, Issue 11, January.
9. Al-Janabi, Nofal (2014). Hilla, the capital of bitter sarcasm and the memory of satirists, Baghdad, Al-
10. Ricoeur, Paul 2009, Memory, History, Forgetting, Beirut, translated and presented by George Zenati, United New Book House.
11. Louay Khazal jabur (2018). Historical memory, culture and politics, a psychological study on the dynamics of collective learner helplessness in Iraqi society, 1st edition, University of Kufa, Intellectual
12. Roanoke, Mary (2007). Memory in Philosophy and Literature, Beirut, translated by: Falah Rahim, New Book House.

13. Kawtharani, Wajih 2020, Memory from a Historian's Perspective, Tabbyen Magazine, Arab Center for Linguistic Research and Studies, Issue 33, Volume Nine.
14. Fidouh, Abdul Qader, 2018, Narratives of the New Reality, Qatar University, Journal of Languages and Literature, published research, No. 30, Part 2.
15. Al-Hattab, Faraj 2019, The Politics of Pain and Meaning: Ashura Rituals and the Arbaeen Visit in Iraq, Lebanon, Intellectual Studies Series, University of Kufa.
16. Al-Akhras, Muhammad Ghazi, 2017, Biography and Cultural Violence, A Study in the Memoirs of Modernist Poets in Iraq, 1st edition, Beirut, University of Kufa Publications.
17. Yassin, Baqir, 2013, The Personality of the Iraqi Individual, Damascus, Aras House for Printing and Publishing.
18. Derrida, Jacques 2008, On the Science of Writing, translated by: Anwar Moghaith, Mona Tolba, Cairo National Center for Translation.
19. Abdel Nour, Ibn Nour Daoud, 2009, The Philosophical Introduction to Modernity: Analytical System of the Manifestation of the Western Mind, 1st edition, Algeria - Beirut, Arab House of Science Publishers, Difference Publication.
20. Saliba, Jamil 1982, The Philosophical Dictionary of Arabic, French, English, and Latin Words, Part 1, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Lubani.
21. Ibn Manzur, Jamal al-Din 2011, Dictionary of al-Arab tongue, edited by: Ahmed Salem al-Kilani and Hassan Adel al-Nuaimi, vol. 20, 1st edition, Middle East Cultural Center.
22. Mahdi, Shafiq, 2013, Baghdad Cafés, published by the Baghdad Capital of Arab Culture Project, Baghdad, House of Cultural Affairs.
23. Rosenthal and Yudin, 2006, The Philosophical Encyclopedia, compiled by a committee of Soviet scholars and academics, translated by: Samir Karam, reviewed by Sadaq Jalal Al-Azm and George Tarabishi, Dar Al-Talia, Beirut.
24. Al-Ghadhami, Abdullah, 2005, Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns, 3rd edition, Casablanca, Arab Cultural Center.

المصادر والمراجع

١. كاظم ، نادر ، (٢٠٠٧) . استعمالات الذاكرة في مجتمع تعددي ، البحرين ، مكتبة فاخوري .
٢. بن سلامة ، رجاء ، (٢٠٠٥) . بنیان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث ، دمشق ، دار بئرا للنشر والتوزيع .
٣. كوثراني ، وجيه ، و نصر ، مارلين (٢٠١٥) . التاريخ الشفوي مجموعة مؤلفين ، الطبعة الأولى ، المجلد الأول الدوحة قطر ، المركز
٤. هويدي ، محمد عبد الحسين (٢٠١٨) . تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي ، البصرة ، دار شهریار .
٥. كريم ، فوزي ، ٢٠٠٦ ، تهافت الستينيين أهواء المتقف ومخاطر الفعل السياسي ، بغداد ، المدى .
٦. الطائي ، عبد الحسين (٢٠١٣) . جدلية العلاقة بين المتقف والسلطة ، لندن المركز الثقافي العراقي ، دار الحكمة .
٧. حرب ، علي (٢٠٠٠) . حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية ، المغرب ، المركز الثقافي .
٨. سوکاح ، زهير ٢٠٢٠ حقل دراسات الذاكرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بحث منشور ، مجلة سطور للدراسات التاريخية ، العدد ١١ ، كانون الثاني .
٩. الجنابي ، نوفل (٢٠١٤) . الحلة عاصمة السخرية المرة وذكرى الساخرين ، بغداد ، المدى .
١٠. ريكور ، بول ، ٢٠٠٩ ، الذاكرة التأريخ النسيان ، بيروت ، ترجمة وتقديم جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد المتحدة .
١١. جبر ، لؤي خزعل (٢٠١٨) . الذاكرة التاريخية والثقافة والسياسة دراسة نفسية في ديناميات العجز المتعلم الجمعي في المجتمع العراقي ، ط١ ، جامعة الكوفة ، سلسلة دراسات فكرية .
١٢. ورونوك ، ميري (٢٠٠٧) . الذاكرة في الفلسفة والأدب ، بيروت ترجمة : فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد .
١٣. كوثراني ، وجيه ٢٠٢٠ الذاكرة من منظور مؤرخ ، مجلة تبیین ، المركز العربي للأبحاث والدراسات اللسانية ، العدد ٣٣ ، المجلد
١٤. فيدوح ، عبد القادر ، ٢٠١٨ سرديات الواقع الجديد ، جامعة قطر ، مجلة اللغات والأدب بحث منشور ، العدد ٣٠ ، ج ٢ .
١٥. الخطاب ، فرج ، ٢٠١٩ ، سياسة الألم والمعنى : طقوس عاشوراء وزيارة الأربعين في العراق ، لبنان ، سلسلة دراسات فكرية ، جامعة
١٦. الأخرس ، محمد غازي 2017 السيرة والعنف الثقافي دراسة في مذكرات شعراء الحداثة بالعراق ، ط١ ، بيروت ، إصدارات جامعة

١٧. ياسين ، باقر ، ٢٠١٣ شخصية الفرد العراقي ، دمشق دار آراس للطباعة والنشر .
١٨. دريدا ، جاك ، ٢٠٠٨ ، في علم الكتابة ، ترجمة : أنور مغيث ، منى طلبة ، القاهرة المركز القومي للترجمة .
١٩. عبد النور، ابن نور داود، ٢٠٠٩ المدخل الفلسفي للحدثاثة : تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي ، ط١ ، الجزائر - بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف.
٢٠. صليبا ، جميل ١٩٨٢ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، ج١، بيروت ، دار الكتاب اللبناني .
٢١. ابن منظور ، جمال الدين ٢٠١١ معجم لسان العرب ، ، تحقيق: احمد سالم الكيلاني وحسن عادل النعيمي، ج ٢٠، ط١ ، مركز مهدي ، شفيق ٢٠١٣ مقاهي بغداد ، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية بغداد ، دار الشؤون الثقافية .
٢٣. روزنتال و يوددين ٢٠٠٦ الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفياتيين ، ترجمة : سمير كرم ، مراجعة صداق جلال العظم وجورج طرابيشي ، دار الطلعية بيروت .
٢٤. الغدامي ، عبد الله ، ٢٠٠٥ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط٣ ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي .
- الهوامش :**

* الهيبز بالإنجليزية(Hippies) : ظاهرة اجتماعية كانت بالأصل حركة شبابية نشأت في الولايات المتحدة في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ثم ما لبثت أن انتشرت في باقي الدول الغربية. وتعتبر هذه الحركة مناهضة للقيم الرأسمالية، حيث ظهرت بين طلاب بعض الجامعات في الولايات المتحدة كظاهرة احتجاج وتمرد على قيادة الكبار ومظاهر المادية والنفعية وثقافة الاستهلاك، فقام بعض الشباب المتذمر إلى التمرد على هذه القيم والدعوة لعالم تسوده الحرية والمساواة والحب والسلام. ميزوا أنفسهم بإطالة الشعر ولبس الملابس المهلهلة والفضفاضة والتجول والتنقل على هوامم في مختلف الأنحاء كتعبير عن قربهم من الطبيعة وحبهم لها .